DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

الاغتراب في الأدب الحديث
(رواية رأيت رام الله لمريد البرغوثي أنموذجًا)

دعاء عيسى أحمد عباسي
طالب دكتوراه، جامعة البطانة، السودان
البريد الالكتروني: duaa.i.abassi@gmail.com

الملخص
يدور البحث حول ظاهرة الاغتراب في الأدب العربي؛ نظرًا لأهمية ظاهرة الاغتراب وتحديد ألم المغترب في الوطن أو خارجه، وبخاصةً الانسان الفلسطيني الذّي نزح ونُفي وهاجر من وطنه، ولم يستطع العودة ويمضي في ذكرياته ومعاناته اليوميّة والضّغوطات الباطنة والظّاهرة سواءً كانت نفسيّة أو اجتماعيّة أو دينيّة أو سياسيّة، على أمل العودة يومًا ما للعودة إلى ربوع وطنه. وقد عُنيّت هذه الدّراسة بوصف أنواع الاغتراب في الشّعر العربي بشكل عام، وعند مريد البرغوثي في رواية رأيت رام الله بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الأدب الحديث، مريد البرغوثي.

Alienation in Modern Literature
(The Novel I Saw Ramallah by Mourid Barghouti as a Model)

Duaa Issa Ahmed Abbasi
PhD Student, Al-Butana University, Sudan
Email: duaa.i.abassi@gmail.com

ABSTRACT
The research revolves around the phenomenon of alienation in Arabic literature; given the importance of the phenomenon of alienation and defining the pain of the expatriate in the homeland or outside it, especially the Palestinian person who was displaced, exiled and emigrated from his homeland, and was unable to return and continues with his memories and daily suffering and the internal and external pressures, whether psychological, social, religious or political, in the hope of returning one day to his homeland. This study was concerned with describing the types of alienation in Arabic poetry in general, and in Mourid Barghouti's novel I Saw Ramallah in particular.

Keywords: Alienation, modern literature, Mourid Barghouti.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

المبحث الأول: مفهوم الاغتراب (لغةً واصطلاحًا)

الاغتراب لغةً: جاءت كلمة اغتراب في اللغة العربية مشتقة من الفعل الثلاثي (غَرَبَ) وتعني ذهب أي الابتعاد عن المكان.

أما الغربة والغرب فهو الاغتراب ذاته، وهو النزوح عن الوطن والبعد عنه والتغرب كذلك يُقال: غرّبه الدهر، واغترب عن وطنه، إذ ابتعد عنه. يُقال للرجل الغريب أي بعيد عن وطنه، وللمرأة غريبة. وغرّب وأغرب وغربه وأغربه: أي نحّاه والغربة والنزوح عن الوطن.[1]

وفي أساس البلاغة جاءت بمعنى أبعد، أما (غ ر ب) كففت من غربه أي من حدته واقطع عني غَرب لسانه وأني أخاف عليك غرب الشباب، ورمى فاغرب: أي أبعد المرمى وتكلّم فأغرب: إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره وأغرب الفرس في جريه، والرجل في ضحكه، إذا أكثر منه، ونهي عن الاستغراب في الضحك وهو أقصاه.[2]

وعدّ الرازي الاغتراب بمعنى النفي عن البلد والبعد والتباعد، والتعريب النفي عن البلد وأغرب بشيء غريب وأغرب أيضًا وصار غريبًا، ويُقال أغرب عني أي تباعد وغربت الشمس وبابهما دخل والغرب بوزن الضرب الدّلو العظيمة وغرب كل شيء أيضًا حدّه وقولهم: حبلك على غاربك أي اذهب حيث شئت.[3]

إذن الاغتراب هو الابتعاد، وهو ما يجعل الانسان مغتربًا، إذ ينتقل من مكانه الأصلي إلى مكان آخر، والشعور بالابتعاد عن الوطن والمجتمع وفقدان القيم والخضوع لواقع اجتماعي ويسيطر عليه خليط من مشاعر الحنين والشوق والخوف.

الاغتراب اصطلاحًا:

حظيّ مفهوم الاغتراب باهتمام العلماء المسلمين والغرب، فنجد اهتمام فقهاء الإسلام والحديث عنه وتوضيحه "وهو مشترك بين الناس كلهم في الدار الدنيا غرباء، لأنها ليست لهم بدار مقام وليست الدار التي خلقوا لها ولهذا وصف أحد شيوخ الإسلام هذا النوع من الاغتراب بأنه لا يحمد ولا يذم:

وحـــــي علـــــى جنـــــات عـــــدن فإنهـــــا ... منازلـــــك الأولـــــى وفيهـــــا المخـــــيّم

ولكننـــــا ســـــبي العـــــدو، فهـــــل تـــــرى ... نعـــــود إلـــــى أوطاننـــــا ونســـــلم؟

وأي اغتـــــراب فـــــوق غربتنـــــا التـــــي ... لهـــــا أضـــــحت الأعـــــداء فينـــــا تحكـــــم

وقـــــد زعمـــــوا أن الغريـــــب إذ نـــــأى ... وشـــــطت بـــــه أوطانـــــه لـــــيس يـــــنعم

فمـــــن أجـــــل ذا لا يـــــنعم العبـــــد ســـــاعة ... مـــــن العمـــــر إلّا بعـــــدما يتـــــألم

وقد حضّ الدين الإسلامي الناس على ان يتخذوا الدنيا ممرًا ولا يجعلوها مقرًا ووطنًا فهي دار فناء أو دار انتقال إلى دار البقاء."[4]

يرى الامام الحنبلي أن الناس في دار الدنيا قسمان، قسم من جعل همّه دار الدنيا وغرّته زينتها وأثقلت عليه همومها، وقسم آخر شغل نفسه بعبادة الله سبحانه وتعالى وذكره والعمل ليوم يلقى فيه العبد ربه" قسم وقف مع الدنيا وزينتها واغتر بها وجهل معرفة الله وعظمته واجلاله وهؤلاء لا يشعرون بالاغتراب في الدنيا بل يستوحشون من ترك الدنيا وملذاتها، والقسم الثاني آمن بالله حق الايمان فاستأنس به ويذكره ومحبته وهؤلاء يستوحشون من الدنيا وشهواتها ويعيشون مشاعر الاغتراب عن الام الوطن"[5]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة غ، ر، ب.
[2] الزمخشري، أساس البلاغة، مادة غ، ر، ب.
[3] الرازي، مختار الصحاح، مادة غ، ر، ب.
[4] سلامي، الاغتراب في الشّعر العباسي، ص 34.
[5] م. ن، ص24.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

وبهذا الصدد نظر المسلمون إلى الدنيا على أنها دار بلاء وزوال فهي ستزول يومًا ما، والاغتراب هو الارتحال عن الوطن" واغتراب الحال هو بالمعنى الإسلامي الابتعاد أو الانفصال عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة وعن الكثرة التي غرفت فيها ومفارقة شهوات الدنيا وملذاتها وزخارفها وهوى النفس ومطامعها والتمسك بتعاليم الدين
الصحيح ومحاربة البدع والشبهات التي دخلت الإسلام وليست منه في شيء."[1]

المبحث الثاني: أنواع الاغتراب ونظرياته

أولًا، الاغتراب النفسي: شعور الفرد بالاغتراب عن ذاته ونفسه مما يسبب له الإرهاق والشقاء ويشعره بالضياع والعجز " هو حالة تعتبره الفرد ويعبر عن نفسه بأنه أصبح غريبًا، إذ أنّه أصبح لا يعيش مخلصًا لتوقعات الحياة وهو في الحقيقة لا يسعى لفعل أي شيء مؤمن به ومن الممكن أن يكون السبب في ذلك يرجع إلى مثالية الفرد لا يتفق وظروف المجتمع الذي يسير عليه بشكل معاكس لأفكار ومشاعر الفرد فيؤدي إلى اغتراب نفسي."[2]
ويُعد هيغل أول من عرّف الاغتراب بأنه:" حالة اللاقدرة أو العجز التي يُعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته فتوظف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص ".[3]
وفي حال وجود مؤثرات في الحياة الأسرية تحدث نوعًا من الاضطراب على النفس أو ضغط العمل أو تدهور القيم، مما يفقده الحس الاجتماعي ويشعره بعدم الرضا عن ذاته معجزه المستمر وضعف شخصيته وعدم ثقته بنفسه وبالآخرين ويعيش في صراع دائم.
ويرتبط كافة أنواع الاغتراب مع النفسي ارتباطًا وثيقًا، لأن الاغتراب سواءً كان ياسي أو اجتماعي أو ديني أو زماني أو مكاني أو ثقافي فإنه يصب في النفس ويتداخل فيما بينهم مهما حاولنا الفصل " ثمّة تعالق كبير بين بين الأشكال المختلفة، إذ قد يضفي الاغتراب الاجتماعي إلى النفسي والعكس صحيح."[4]
ثانيًا، الاغتراب الاجتماعي: شعور الانسان بالبعد الحقيقي والانفصال عن مجتمعه وعالمه وعاداته وتقاليده وعائلته، مما ينتج في بعض الأحيان عدم اندماجه مع الآخرين ومجتمعه الجديد بعاداته وتقاليده، ولا يتيح له الفرصة لخلق علاقات جديدة مما يسبب له عقدة الإحباط " هو الانسلاخ التام عن المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء."[5]
ويرى كارل ماركس (1818 – 1883) أنّ الاغتراب الاجتماعي والاقتصادي نتيجة العيش في مجتمع طبقي أو انتاج رأسمالي فلسفي وصراع الطبقات وتقوم نظريته على الفلسفة نتيجة صراع طبقات والظروف الاجتماعية والرأسمالية حوّلت العامل إلى كائن عاجز "يهبط إلى مستوى السلعة ويصبح حقًا أكثر تعاسة وتزداد تعاسته بازدياد قوة انتاجه وحجمها ويصبح سلعة رخيصة بقدر ما ينتج من سلع وتزايد قيمة عالم الأشياء تتدنى قيمة الانسان بنفسه."[6]
ومن خلال نظريته استطاع ماركس أن يحدد جوانب الاغتراب:
أ – اغتراب العامل في علاقته بمنتجاته أي يعمل على الرأسمالية من أجل غيره.
ب _ اغتراب العامل عن عمله بالذات في مجتمع رأسمالي، ويرى عمله لقضاء حاجاته اليومية.
ت _ يغترب العامل في علاقته في مجتمع رأسمالي عن الطبقة نفسها فهو جزء منها .
ث _ يغترب عن منتجاته وعمله وعلاقته مع الآخر.[7]

ونخلص إلى أنّ الانسان يغترب عن الطبقة ويحولها إلى وسيلة لسد حاجاته المادية إذ لم يستطع التعايش معها وعدم إتاحة الفرصة لتطوير ذاته ونشاطه " فإنه لا شك سيحس بأنه غريب ضمن هذه المجموعة، إذ كان ذلك

[1] م. ن، ص30
[2] إقبال رشيد صالح الحمداني، الاغتراب – التمرد: قلق المستقبل، ص 138
[3] حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص 38.
[4] آمال عبد المنعم حراسيس، ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، ص 19.
[5] إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الاغتراب – التمرد : قلق المستقبل، ص 137.
[6] حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص 39.
[7] يُنظر م . ن، ص 40.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

الاطار الاجتماعي لا يلبي لهذا الفرد كافة رغباتهم الاجتماعية، ولا يؤدي له الدور الذي يصبو إليه من خلال تحقيق ذاته."[1]

ثالثًا، الاغتراب الدّيني: أي غربة الانسان عن أفكاره ومعتقداته الدينية التي يؤمن بها، واهتم فيورباخ (1804-1872) بالاغتراب الديني وعن ذاته لاعتباره لأن الانسان يعكس أفضل ما لديه من خلال ايمانه الديني، ويُعدّ تلميذ هيغل ويؤمن بأن الدين هو نوع من اغتراب الانسان عن نفسه "معتزًا أن الانسان يغترب عن نفسه لأنه يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه وفي نفسه من صفات على ما هو خارج ذاته."[2]

واستطاع حليم بركات إيجاد نوعين من الاغتراب في القرن العشرين حيث العلاقات قائمة بالمؤسسات الدّينية:

أ – " ميل إلى الاغتراب من الدين بمعنى رفض المؤسسة الدينية القسرية والخروج عليها والخروج عليها وبخاصة في محاولاتها مقاومة التغيير.

ب – اغتراب في الدين بمعنى أن المؤمن المتشدد في إيمانه ينسب قواه الذاتية إلى قوى خارج نفسه ويسلمها مصيره بالاستقلال عنه."[3]

رابعًا، الاغتراب الزماني والمكاني: هو إحساس الانسان بالغربة عن المكان والزمان يعيش بهما، فهو في مكان غير مكانه أو لم يعد مكانه وبزمان لم يعد زمانه، فالزمان يشكل التاريخ ففي حال اغتراب الانسان عن زمانه، أي اغترابه عن تاريخه وماضيه، واغترابه عن مكانه أي المكان الذي ينتمي إليه وبهذا يكون دون بقعة جغرافية ينتمي إليها. وقال رسول الله صلَّ الله عليه وسلم " والله إنكِ خير أرض الله وأحبّ أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت"[4] حين أُجبر رسول الله على الخروج من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أحسّ بالغربة.

" يغرز واحدنا أصبعه في التراب ليعرف من خلال رائحته في أي موقع هو. اغرز أصبعي في الوجود لاكتشف أن لا رائحة. أين أنا؟ من أنا؟ كيف وصلت إلى هنا؟ ما هو الشيء الذي يسمى العالم؟ من الذي ضللني إليه وتركني هنا."[5]

خامسًا، الاغتراب السياسي: شعور الإنسان بالغربة ورفضه للنظام السياسي الذي يسود بلاده، وتؤثر الحياة السياسية على الانسان مما يدفق له الشعور بالاغتراب، إذ أنها تسيطر على حياته ولا يسيطر عليها ويُجبر على التعامل معها" حين أصبح الشعب نفسه خادمًا للدولة بدل أن تكون الدولة خادمة للشعب، وإلى حدّ جعل المواطنين بحاجة إلى من يحميهم من النظام الحاكم، بل يبدو وكأن الدولة أصبحت بحاجة إلى مواطنين تحكمهم على عكس ما هو مفترض."[6]

ودعا هيغل إلى العمل السياسي الذي يقلل من الاغتراب " فقد رأى الاغتراب السياسي الذي كان نتاج طغيان النظام السياسي سيقترن بالاغتراب الديني الذي هو نتاج سعى الكنيسة لانتزاع الفرد بعيدًا عن أرض الواقع باتجاه واقع فالدين والسياسة لعبة."[7]

وفي حين قلّة حصول الفرد على مكاسب من الأنظمة المسؤولة في الوظائف والتعليم والعمل فيكون أكثر عرضة من غيره للاغتراب السياسي مما يدفعهم لتجنب الاشتراك في مناحي الحياة السياسية.

سادسًا، الاغتراب الثقافي: يعيش الانسان في صراع وعالم من التناقضات بين ثقافتين متباعدتين " وينعكس في صورة الانتماء إلى الأصول الحضارية والثقافية وإلى الغزو الثقافي الأجنبي والتحدي الحضاري القادم من

---

[1] آمال عبد المنعم الحراسيس، ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، ص 19.
[2] حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص 38.
[3] حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص125.
[4] سنن الترمذي ، ج5 ، ص 723 ، 3925
[5] حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص46
[6] م. ن، ص 39.
[7] كيلاس محمد عزيز العسكري، الاغتراب في شعر الشاعرين محمود درويش وشيكو، ص 24 .

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

الخارج والأمر يؤدي إلى تفكك القيّم السائدة في مجتمع ما أو تلاشي بعض ذلك المجتمع من جهة وإلى صراع مع هذه القيّم الغريبة من جهة إلى أخرى."[1]

المبحث الثالث: الاغتراب في الأدب العربي الحديث.

اهتم الأدب العربي بظاهرة الاغتراب كونها تلازم الإنسان منذ القدم، فهي ظاهرة قديمة، فالأديب هو إنسان يخوض تجارب الحياة بحلوها ومرّها، وتؤثر على نفسيته مما يتيح له الفرصة التعبير عن هذه التجربة من خلال كتاباته الإبداعية سواءً كانت بالشعر أو النثر.

واتضحت ملامح الغربة والحنين إلى الوطن عند شعراء الجاهلية، فقصائدهم لم تقتصر على الوقوف على الأطلال وذكر المحبوبة والتغني بها، بل ذكروا الشوق والحنين للوطن ويشارك ناقته في هذا الشوق والتذمر من الغربة.[2]

فعانى الصعاليك من الاغتراب والحنين لخروجهم عن انتمائهم لقبائلهم ووجباتها وانشقوا عنها أو طردوا منها ولم يتمثلوا" ومنهم كان يعيش الغربة داخل قبيلته ورضيّ بالعبودية حرصًا على أهله وبناته من الذل والفقر إذا هجر القبيلة وتحرر من ظلمها."[3]

وتجلّت ظاهرة الاغتراب في العصر الأموي فتناولت جميع أنواع الاغتراب السياسي والاجتماعي والنفسي وغيره، وترحال القبائل من مكانها إلى مكانٍ آخر طلبًا للرزق والغيث ويزداد الشوق والحنين للأهل والديار والأحباب بعدما ذاقوا لوعة ومرارة الغربة" وكان للفتوحات الإسلامية التي جرفت كثيرًا من المجندين الذين عاشوا في بيئات جديدة مختلفة عن بيئاتهم واختلاف وجوده كل ذلك كان مصدر حنين وشوق. وكان من أسباب الغربة الزواج في غير القبيلة والبعد عن الأهل والديار وخلع المتمردين الخارجين على العرف والتقاليد والفتن الداخلية وما نتج عنها من تشتت وقسوة وبطش في أثر شعور الفرد بأنه غريب مطارد وغيره كان من أسباب الشعور بالغربة والاغتراب."[4]

ولم يقتصر على الرجال فحسب، بل عانت المرأة أيضًا من مرارة الاغتراب والحنين إلى الديار وخاصةً عند زواجها برجل حضري خارج البلاد.

وقلّ شعر الاغتراب في العصر العباسيّ بالنسبة لما سبقه من العصور " وذلك للاستقرار واتساع المدن وانتشار الحضارة واختلاط الشعوب، فكانت بغداد درة العواصم وملتقى الثقافات، وأصبحت الحياة مدينة بعيدة عن البداوة مصدر الشوق والحنين."[5]

لم تقف ظاهرة الاغتراب في العصور القديمة فحسب، إنّما تجلّت وظهرت ظهور الشمس في الأدب الحديث، فنجد شعراء المهجر يغلب على شعرهم ظاهرة الاغتراب والحنين وألم الفراق والبعد عن الوطن بسبب الظروف التي أجبرتهم على الاغتراب وشجعتهم للهجرة " الحكومة زادت في تعسفها وظلمها للأهالي. وساءت الأحوال الإدارية وفرضت الرقابة الشديدة على الأفراد والجماعات مما جعل القوم يعيشون وكأنهم على وشك الانفجار"[6]

فعبر ميخائيل نعيمة واحدًا من أهم شعراء الرابطة القلمية عن غربته:

نبذتـــــــه ضوضـــــــاء الحـــــــيّ فمـــــــال عنهـــــــا وانفـــــــرد

وغـــــــدا جمـــــــادًا لا يخـــــــفّ ولا يميـــــــل إلـــــــى أحـــــــد

وغـــــــدا غريبًـــــــا بـــــــين قـــــــومٍ وكـــــــان قلبًـــــــا مـــــــنهمُ

[1] إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الاغتراب – التمرد: قلق المستقبل، ص 139 .
[2] يُنظر يحيى الجبوري، الغربة والحنين، ص 31
[3] م. ن، ص 40.
[4] يحيى الجبوري، الغربة والحنين، ص 53- 54.
[5] م. ن، ص 103.
[6] نادرة جميل سراج، الرّابط القلمية- دراسات في شعر المهجر، ص42

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

يـــــــا نهـــــــــر ذا قلبـــــــــي أراه كمـــــــــــــــا أراك مُكـــــــــــــــبّلا

والفـــــــــرق أنّـــــــك ســـــــــوف تنشـــــــط مـــــــن عقالـــــــك وهـــــــولا

" أنّ الشاعر يحس بالغربة والانفراد والوحشة والعزلة ومصدر ذلك كله اختلافه عن الناس من حوله وتنكره لقيمهم وحياتهم التي لا تتوافق كليًّا مع قيمه ومبادئه، فهو رومانسيّ وهم ماديّون، هو صادق وهم كاذبون مزيّفون يلهثون وراء المادّة."[1]

وكما أسلفنا الذكر أنّ الشاعر ابن بيئته وهو أكثر الناس يستطيع التعبير عن مشاكل مجتمعه، فهذا جبران خليل جبران شاعر متمرد ورافض للقيم الزائفة البالية التي يمتسك بها مجتمعه " إنّ تمرد جبران وثورته صورة واضحة عن اغترابه ورفضه وقد استطاع من خلال ثورته الأدبية تحقيق الانسجام الاجتماعي فقد وجد جبران نفسه الطامحة إلى التجديد والرغبة في تحقيق الأفضل للمجتمع وتغييره غريبة هذا العالم الجامد."[2]

أنا غريبٌ في هذا العالم
أنا غريبٌ وفي الغربةِ وحدةٌ قاسيةٌ ووحشة موجعة
أنا غريبٌ عن أهلي وخلاني، فإذا ما لقيّت واحدًا أقولُ
في ذاتي: من هذا وكيف عرفته وأي ناموسٍ يجمعني به
ولماذا اقترب منه وأجالسه؟

ويعبر عن اغترابه في شعره:

أنا غريبٌ في هذا العالم
أنا شاعرُ انظلم ما تنثره الحياة ولهذا أنا غريب
سأبقى غريبًا حتى تخطفني المنايا وتحملني إلى وطني

ونجد هذه الظاهرة تتجدد عند جماعة الديوان، وأبلو، فيقول الشّابي الذي أرهقته الحياة وروحه المرهقة الأسيرة بعيدًا عن وطنه:

شردّت عن وطني السماوي الذي ما كان واجمًا مضموما
شردت عن وطني الجميل أنا الشقيّ فعشت مشطور الفؤاد بينما
في غربة روحيه ملعونة وأشواقها تفضي عطاشًا هيما
يا غربة روح المفكر إنّه في النّاس يحيا سائم امسئوما

ويضفي على شعر عبد الرحمن شكري طابع التشاؤم والشكوى ويعكس على نظمه فيرى الحياة محنة واسعة والوجود في هذه الحياة غربة ما بعد غربة.[3] وشعوره بالغربة يجعل عليل النّفس:

إنّ أكن عائشًا فعيش عليل ال نّفسِ يذوي مثل الرجاء العقيم

وعانى من المجتمع الذي يعيش به من عاداتهم وتقاليدهم ويقلل منهم ويحاول مرارًا التخلص من واقعه المرير وانتقاد ما حوله من الناس:

ســـــأهجر هـــــذا الخلـــــق لا هجـــــر عائـــــد ولكـــــن يأسًـــــا حـــــين لـــــم يبـــــقَ مطمعًـــــا

وأخذ الشعر الحرّ حيّزًا هامًا في ظاهرة الاغتراب نتيجة التغيرات والتطورات على مختلف الأصعدة والميادين وظهرت تيارات جديدة تدعو للتغيير والتعبير الصادق ، وبدايةً كانت في العراق نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تسود البلاد [1] ظهر بدر شاكر السياب بشعوره بالغربة ، فهو قبل أن يكون شاعرًا هو إنسانًا مرهف الإحساس والمشاعر ، وتقلبت حياته فتوفيّت والدته وهو صغيرًا وتزوج والده وعاش مع

[1] م. ن، ص 84.
[2] تجليات الغربة، ص80.
[3] تجليات الغربة، ص 87.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

جدته ، وكان دنيء الشكل مما سبب له اختلال في توازنه النفسي وأدى إلى فشله في علاقاته ومع النساء خاصةً ، وزوجته لم تمكث معه طويلًا فهاجر إلى الغربة وتركها وحيدة، وعاش مرارة الغربة وألمها وشوقه لبلاده وأهله وأحبته ، وشوقه لوالدته وذكرياته معها:

أماه ليتك ترجعين
شبحًا وكيف أخاف منه وما امّحت رغم السنين
قسمات وجهكِ من خيالي؟

فرضت ظاهرة الاغتراب نفسها بقوة في الرواية العربية باعتبارها أحد الروافد المهمة للفكر الإنساني، وتناول العديد من الأدباء ظاهرة الاغتراب في رواياتهم، مثل: نجيب محفوظ في روايته السمان والخريف الذي عانى بطلها من غربة نفسيّة زمانيّة مكانيّة في وطنه وعدم قدرته على الاندماج والتكييف. ورواية هجرة السنونو للأديب السوري حيدر حيدر التي تعبر عن هزيمة العربيّ واحباطاته المتعاقبة واحدة تلو الأخرى، واستطاع من خلال الرواية معالجة الاغتراب بطريقة جديدة بتعبير الأدباء عن غربتهم وشعورهم بها. ورواية الحب في المنفى تمثل وتجسد حقيقة ما يعانيه المغترب وتعالج أوجه الاغتراب.[1]

ورواية البحث عن وليد مسعود لجبرا إبراهيم جبرا تمثل ما يعانيه الانسان الفلسطيني والعلاقة بين الحلم والواقع وشعور الإحباط والضياع والاغتراب. وفي بحثي المتواضع تناولت ظاهرة الاغتراب عند مريد البرغوثي في روايته رأيت رام الله، وهي تجربة ذاتية بعد غربة ثلاثين عامًا عن وطنه الأم، ولم يرد مريد حلولًا للقضية أو لظاهرة الاغتراب.

الفصل الثاني: الاغتراب في رواية رأيت رام الله

المبحث الأول: مُلخص رواية رأيت رام الله

تعدّ رواية رأيت رام الله أحد العلامة الهامة والبارزة في حياة مريد البرغوثي، فهي مرحلة الغربة التي عاشها بعد خروجه من فلسطين للدراسة إلى مصر، فتحمل في طيّاتها ذكريات وأحداث عاشها، فاغترب عن وطنه ما يقارب ثلاثين عامًا وهو ينتقل من بلد إلى آخر. وجسدت الرواية مظاهر الغربة بأكملها وأنواعها من ذكريات تجمع بين الحب والفراق والحنين الشوق وولوعة وذكرياته المريرة.

اختار مريد البرغوثي عنوانًا يروي تفاصيل الرواية " فالرؤية بالعين، وقال ابن سيده: الرؤية النظر بالعين والقلب."[2] ويجسد أبعادًا جديدة فيريد منها النظر بالقلب والعين معًا دون اقتصاره على العين فحسب، كما عمد على توظيف الخيال، فهو يرى رام الله بقلبه ويدعن للتأمل فيما تحمل من طيّاتها معانٍ كثيرة ممزوجة بمشاعر متدفقة بين الحب والخوف والشوق والألم واللهفة، وبهذه المشاعر نقل لنا الرؤية والمقارنة بين الزمن غادر فيه والزمن الذي زار رام الله بعد طول انتظار.[3]

كما تحوي اللفظة على ما يعانيه اللاجئ الفلسطيني من تحسر وقهر واضطهاد" فمثلت لفظة رأيت واقعًا مريرًا عاشه اللاجئ الفلسطيني الذي حرم من وطنه ويبدو أن هذا الحرمان سيطول لذا استخدم البرغوثي رأيت فتمثل زائرًا عابرًا أيام معدودات ويعود أدراجه من حيث جاء."[4]

واحتوت على تسعة فصول تحمل في طيّاتها سيرة مريد البرغوثي:

[1] يُنظر عادل هنداوي شعبان، تجليّات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر، ص 70 .
[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة رأى.
[3] يُنظر محمود قحطان، ملحمة الغربة والاغتراب
[4] مؤيد عبد الرؤوف محمود عودة، المدينة الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو في روايات مريد البرغوثي رأيت رام الله – هنا ولدت أنموذجًا ص 113.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

الفصل الأول: الجسر، الفصل الثاني: هنا رام الله، الفصل الثالث، دير غسانة، الفصل الرابع: الساحة، الفصل الخامس: الإقامة في الوقت، الفصل السادس: عمّو بابا. الفصل السابع: غربات، الفصل الثامن: لمّ الشمل، الفصل التاسع: يوم القيامة اليوميّ.

لم يعمد مريد البرغوثي لحل القضية الفلسطينية كما ظهر في بعض الروايات التي تناولت القضية الفلسطينية، وتعامل مع الفلسطيني كونه ابن بلده الذي يعرفه ويعهده فهو الصابر والثائر الصامد المدافع عن أرضه وعرضه متمسك بجذوره وأرضه فهو توارثها أبًا عن جد وهذا واجبه كفلسطيني بالدفاع والمحافظة عن أرضه ضدّ المحتل أو من يحاول أن يمسها بسوء فهذا ليس بمعجزة وليس بالمستحيل، لذا لم يصوره بتلك الصور. أي ابتعد عن تمجيد الفلسطيني.[1]

وتمتاز بلغة شاعرية جدًا، لغة محبوكة مكتوبة ببراعة، تشدّ القارئ وتجذبه نحو إعادة قراءتها مرارًا، فهي تجربة ذاتية مستوحاه من واقع وعالم الكاتب، وتصف حالة الشعب الفلسطيني، وبمعنى آخر استطاع مريد البرغوثي أن يضع كفه على الجرح، وقال بهذا الصدد علي الراعي: " كتاب مريد يصدر عن روح فريدة حقًّا مزيدة من النظرة السمحة التي ينظر بها إلى الناس والأحداث.. الكتاب ليس مجرد كتاب إنّه ذوب قلب عصارة حياة قضاها الشاعر متنقلًا بين المهاجر والمنافي والمنابذ."[2]

إذ لم يلجأ إلى التعقيد في اللغة بل كانت لغته سهلة واضحة فهمها واضح ومتناول لكافة العقول، فاستخدم اللهجة الفلسطينية وتميّز أسلوبه بالصدق والدفء العاطفي والقرب من المتلقي، ففي حوار أجراه مع جدته عن خاله

_ " خالك راح لبور سعيد يا ولد ...

_ وليش رحت يا خالي؟ - وكأنني سألت سؤالًا غبيًّا-

_ من شان أروح لبور سعيد"[3]

وحديثه مع زوجة عمه التي أنهكها العمر وتقدم الزمن بها ولم تعد قادرة على العطاء كما كانت والاعتناء بزراعة بالخضار والفاكهة التي كانت من اهتماماتها " كبرت وهشيت. هاجر إلي هاجر ومات إلي مات لمين أطعم تينها يا ولدي؟ لا من يقطف ولا من يأكل. يظل التين عليها حتى ينشف ويوسخ الحوش كله. غلبتني قطعتها وارتحت."[4]

وبعد وصوله إلى رام الله بدأ يسأل عن الدكتور حلمي المهتدي وزُف إليه خبر وفاته " ولكنه مات منذ سنين، أعرف –ثم أضاف موضحًا – أنا رايح لبيت قريب منه. قال السائق: والله أنا بعرف عيادته على المنارة بس بعرفش البيت"[5] وغيرها العديد من المواقف والحوار التي أجرى بالعامية اللهجة الفلسطينية، فهو مع اغترابه لهذه السنوات العديدة لم تنسه قط لهجته علمًا أنه هاجر إلى أكثر من بلد ولكن بقيت لهجة الأم الفلسطينية مسيطرة عليه ولم يتخلَ عنها أبدًا.

وظف أيضًا الموروثات الشعبية الفلسطينية في الرواية، فمثلًا وظف الأمثال الشعبية المتداولة على الألسن منذ القدم حتى يومنا هذا " جمل محل جمل برخ"[6] ويُعتبر القمباز والحَطّة هو اللباس الشعبي المعروف لأهل بلاد بلاد الشام عامةً وأهل فلسطين خاصةً، في وصفه لخاله أبو فخري" يتباهى بالقمباز الجديد ليوم أو نصف يوم فقط لأنه سيكون في اليوم التالي منقورًا بشرارة من شرارات غليونه العجيب الذي لا يُفارق زاوية شفتيه."[7]

قدم لنا صورة عن طبيعة فلسطين التي تغطيها النباتات التي تعطي أملًا واشراقًا من جديد وتغنى بها وذكرها في أكثر من موقف " زرعت الفناء كله بالأشجار بوملي تفاح مندلينا مشمش برقوق، وبعض الخضروات: خس بقدونس بصل ثوم نعنع."[8]

---

[1] يُنظر محمود قحطان ، تجليات الغربة ف رأيت رام الله.

[2] – أسماء عبد اللطيف، تجليات الغربة .

[3] مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ص 114.

[4] م. ن، ص87.

[5] م. ن، ص 52.

[6] م. ن، ص 143.

[7] م. ن، ص 86.

[8] م. ن، ص86.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

المبحث الثاني: الاغتراب في رواية رأيت رام الله

ظهرت تجليات الغربة عند مريد البرغوثي بأنواعها، فلم تقتصر غربته على المنفى فحسب، بل ظهرت في وطنه وبين أهله وأحبته وفي دياره التي عاش وترعرع بها، وهي مفصلّة في الرواية تفصيلًا واضحًا، وتناولتها في هذا الفصل مبينةً أنواع الاغتراب.

أولًا، الاغتراب الزماني والمكاني: الوطن هو الأم، وهو البقعة الجغرافية التي ينتمي إليها الانسان، والزمان هو تاريخ الانسان وما يتصل به ماضٍ وحاضر يبنى عليه المستقبل.

بعد عودة مريد البرغوثي إلى وطنه وغربته ما يزيد عن ثلاثين عامًا يحاول استحضار ذكرياته والتجلي عليها واسترجاع الأماكن التي تربطه بمدرسته وقريته "ها أنت تقول خذوني إلى مدرستي إلى شارع الإذاعة إلى دار خالي أبو فخري إلى عمارة اللفتاوي خذوني إلى دار الحاجة أم إسماعيل إلى منازل سكنها وطرق مشيتها"[1] في الأماكن والزمان اللذان لم يعدا له ، وصف المباني العمرانية لدير غسانة ، فهي لا تشبه مبانٍ أخرى إلا في سمكها ومتانتها وقوة صلابتها، فهي تدل على الشموخ والعراقة والرقيّ" حجارة لا تشبه حجارة الاهرامات لكنها تذكر بها ولا تشبه حجارة سور القدس لكنها مقدودة من المقالع ذاتها ، حجارة سميكة جدًا غامقة اللون ومعشوشبة"[2]

تظل دير غسانة أجمل الأماكن في ذاكرته، ويكمل التغني بوصف جمال بيوت دير غسانة من مداخلها وسقوفها وقبابها وبساطتها، فهي مغروسة بنفسه مهما عاش، وبالرغم من ذلك الجمال يسكنها الجميع الغني والفقير المتعلم والأمي "أذكر هذه القباب الاسمنتية والجداران السميكة التي تنمو في شقوقها الأعشاب التي ترسمها سطوحها في زرقة الصيف العالية"[3]

لا زالت القدس القديمة محفورة ومغروسة في ذاكرته، وهو ليس بابن القدس، ويبدع في وصفها بيوتها وشوارعها القديمة والمدارس والأسواق، ويشير الضوء على معرفة العالم فقط للقبة الصخرة المشرفة تاركين ورائهم جمال المدينة بأكملها ولا يعرفون إلا ما يسلط الضور عليه في الاعلام " لا يعرف العالم من القدس إلّا قوة الرمز قبة الصخرة تحديدًا وهي التي تراها العين فترى العين وتكتفي"[4] ومباهج شهر رمضان المبارك في هذه المدينة المباركة وبما تمتاز من الزعتر الأخضر والكعك وقوة الارتباط بها فالقدس في نفس كل فلسطينيّ ومغروسة فينا "قدس حبال الغسيل.. هذه القدس هي قدس حواسنا وأجسامنا وطفولتنا.. هي القدس التي نسير فيها غافلين عن قداستها لأننا فيها لأنها نحن"[5]

وبالرغم من الشوق الذي يملأ قلبه لدير غسانة إلّا أنه شعر بأنه زائر في وطنه، ربما يعود السبب لكثرة تنقله من بلدٍ إلى آخر وشكلّت لديه صورة أن المنفى هو وطنه، والأرجح لأنه جاء على وضع مدينة لم يعجبه " اتفاقية أوسلو" فهو لا يوافق هذه الاتفاقية، فكان يريد دخولها وهي محررة لذا كانت نظرته سوداوية، لو أنّه مع أسلو يراها أجمل أو بقيت تحت القيادة " حتى لحظة الزيارة بعد مرور الزمن الذي تعزي الواقعيين بالهيام والغمام الرومانسي ولا شوقًا لاستبعادها على هيئة طفولتي"[6]

المقارنة بين المدينة والقرية ولحظات يعيشها بين فوضى المدينة التي تستقطب كافة الناس كونها مركز تجاري وحياة المؤسسات الحكومية التي تخدم مصالح الناس وازدحام شوارعها بسبب كثافتها السكانية، وهدوء القرية وطبيعتها الخالية من تلوث المصانع "فوضى المدن وهدوء البراري شعارات المتفقين رائحة الصفوف الابتدائية، مذاق الطباشير صوت الأستاذ أحمد صالح عبد الحميد وأحمد فرهود والشاطر الذي يميز التمييز من النعت من الحال"[7]

---

[1] مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ص 58

[2] م. ن، ص 97.

[3] م. ن، ص 97.

[4] مريد البرغوث ، رأيت رام الله، ص 204.

[5] م. ن، ص 205.

[6] م. ن، ص 104.

[7] م. ن، ص 61.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

علاقة الزمان بالمكان، يتلازمان مع بعضهما البعض، فهو بلا زمان ولا مكان يذكره بمكانه الذي سلب منه " إنني أحاول استعادة زمنٍ شخصي ولّي

لا غائب يعود كاملًا. لا شيء يستعاد كما هو

عين الدير ليست مكانًا إنها زمن وقت"[1]

هي زمن طفولته عين الدير ودار رعد، فهي زمن الطفولة والبراءة وأصالة القرية من جرار الزيت والتين ورغيف الخبز (الطابون) الساخن " أما كننا المشتهاة ليست إلا أوقاتً أجل إنّها أوقات ولكن مهلًا: في الصراع تكون المسألة هي الم نعم المكان ... كل القصة في المكان"[2] وسلب المكان التي زارها في المنفى وبفعل الشتات الغريب تبقى علاقته هشة يخاف أن يتمسك في وطنه. وتأثير الزمن على الواقع والاندماج والانخراط " قل إنّك رومانسي، الزمن هو الذي يؤدبك بكل برود. الزمن يُرنّخنا بالواقعية."[3]

يصوّر المغترب بلاده بأجمل وأبهى الصور، فهي في نظره جنة بطبيعتها ومناظرها، ومهما تنقل لم يرَ أجمل منها ولكن الواقع فاجئه بتغير المنظر، فهو خرج منها طالبًا لم تكن محتلة بعد ولحظة دخوله بعد هذا الزمن كانت محتلة رأى كل ما فيها من طبيعة قاحلة سوداوية، مهما كان تطورها فلازمته النظرة السوداوية، ثم يطرح تساؤلًا "كنت أقول لزملائي وزميلاتي المصريين في المصريين في الجامعة إن فلسطين مغطاة بالأشجار والأعشاب والزهور البرية. ما هذه التلال جيرية وجرداء!...هل قدمت للغرباء صورة مثالية عن فلسطين بسبب الصبا؟ قلت لنفسي عندما يأتي تميم إلى هنا سيظن أنني وصفت له بلادًا أخرى.[4]

الشعور بالخسارة وعدم الرضا والعجز عن تغيير الواقع الذي يمر به وطنه وسيطرة التوتر عليه، وحالة السخط "أخذوا ذلك الدكان الذي كنت أسافر إليه خصيصًا من رام الله لشراء حذاء الجلد الممتاز وأعود للعائلة بفطائر زلاطيمو وكنافة وحلويات جعفر وبعد ستة عشرًا كيلو مترًا في باص بامية وبأجرة خمسة قروش أعود في بيتنا في رام الله مزهوًا متباهيًّا فأنا عائد منها من القدس الآن لن أرى قدس السماء ولن أرى حبال الغسيل لأن إسرائيل متذرعة بالسماء احتلت الأرض"[5]

ثانيًا، الاغتراب النفسي: ترتبط كافة أنوع الاغتراب مع النفسي والوجداني بشكل ملحوظ، وتصب كافة المشاعر بالنفس وتتأثر بها، فمثلًا الاغتراب السياسي الاجتماعي الثقافي عند مريد البرغوثي يصب في نفسه ومهما حاولنا الفصل يبقى مرتبطًا ومؤثرًا بالنفس، وتظهر برواية رأيت رام الله تضفي عليها الاغتراب النفسي.

الشعور بالعجز والضعف وعدم القدرة على مواصلة الدرب، ظهرت في لحظات خبر سقوط رام الله وعدم العودة إليها " فشلت في العثور على جدار أعلق عليها شهاداتي."[6]

الاغتراب لا يكون خارج البلاد فحسب، إنّما يكون داخل بلاده فهو اغتراب فوق اغتراب، مما يولد الشعور بعدم الراحة والطمأنينة بعد عودته لوطنه وهي تحت ظل الاحتلال وتحديد المناطق المسموح بزيارتها في حين يسمح للآخر التجوّل كيفما أراد دون تقييد وعدّها بلاد الآخرين "فتحت لنا بوابة المنفى من الجهة العجيبة من الجهة التي تقضي على البلد وليس على البلاد... بلاد الآخرين"[7] ويقصد البرغوثي بالبلد رام الله والبلاد فلسطين كافةً.

الحلم بالعودة منذ 1967 والشوق إلى فلسطين ودخولها، فطال الانتظار وحان موعد اللقاء فيشعر بطول الطريق "كان الطريق إليها طويلًا. منذ 1967 وأنا أمشي من أول شمس أمس إلى أول شمس اليوم وأنا أمشي"[8]

كثرة التنقل من مكانٍ إلى آخر، وبفعل الوضع السياسي التي مرّ بها فيكون اغترابه بعيد الأثر لسنوات عديدة " روضت نفسي عن ذلك الشعور بأن بكرج القهوة ليس لي فناجين قهوتي من ممتلكات المالك ومن مخالفات المستأجر السابق حتى كسر فنجان منها يتخذ معنى آخر"[1]

---

[1] م. ن،ص 129.
[2] مريد الرغوثي، رأيت رام الله، ص 130.
[3] م. ن، ص 113- 114.
[4] م. ن، ص 47.
[5] م. ن، ص8.
[6] مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ص 15.
[7] م. ن، ص 40.
[8] م. ن، ص60.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

المكان والزمان يحدثان تغيرات نفسية من لحظات الوداع الأخيرة قبل مغادرة البلاد إلى لحظات اللقاء مجددًا بعد طول انتظار " هل دار رعد لا تريد قصتي عن دار رعد؟ هل نحن في الوداع واللقاء نحن؟ هل أنتِ أنتِ؟ وهل أنا أنا؟ هل يرجع الغريب حيث كان؟ وهل يعود نفسه إلى المكان؟ يا دارنا ومن يلّم عن جبين الآخر التعب؟"[2]
شعور الانسان بالموت وهو في مقتبل عمره لحظة خروجه من وطنه إلى بلدٍ آخر، ويعيش على أمل الذكريات، ويسمح له بالزيارة نادرًا بعد أن يبلغ من العمر عتيًّا فيشعر بالموت النفسي قبل الحقيقي، لأن الموت ألم مشترك والنفسي يموت في غربته وهو خاص بالمغترب "الغربة كالموت المرء يشعر أن الموت هو الشيء الذي يحدث للآخرين. منذ ذلك الصيف أصبحت الغريب الذي كنت أظنّه دائمًا سواي"[3]
وشعوره بالاغتراب النفسي أثناء اقامته في بلاده لكثرة الأسئلة والإجراءات الرسمية والنماذج الحكومية لتمديد اقامته " من ين الأخ؟ أو هو الصيف عندكم حار؟"[4]
صعوبة أو استحالة التنقل من مدينة إلى أخرى في وطنه بينما الاحتلال الغاشم ينتقل ويتجول بحرية دون مراقبة وقيود ينعم براحة بينما الفلسطيني يقضي ساعات طويلة تحت رحمة الآخر ليسمح له بالدخول، وفي حين تزداد الأمور تعسرًا يُحرم ولا يُسمح له بالدخول فيرجع من حيث أتى" ليس الغريب وحده هو الذي يشقى على الحدود الغربية المواطنون يرون نجوم الظهر أحيانًا على حدود أوطانهم " وترهق أسئلتهم التي لا تتوقف ولا حدود لها "لا حدود للأسئلة.. لا حدود للوطن."[5]

ثالثًا، الاغتراب السياسي: كان للسياسة دور بارزًا في حياة مريد البرغوثي وشعوره بالاغتراب، وظهرت في الرواية بعدّة مواقف، نذكر منها:
غربة الإنسان وهو في وطنه، ويشقى لدخول إلى المدن التي حُرِم منها، ويعاني كثيرًا للحصول على تصاريح تحت رقابة شديدة وتدقيق عميق، ويعتقد بذلك حال الموافقة على دخوله أو الرجوع من حيث كان "ليس الغريب وحده هو الذي يشقى على الحدود الغربية المواطنون يرون نجوم الظهر أحيانًا على حدود أوطانهم"[6]
مرارة وصعوبة الحصول على لم الشمل والدخول للوطن " هنا قدمت لنا طلبات لم الشمل وطلبات الإذن بالزيارة التي كانت ترفض في كل مرة"[7] وقلة الحيلة وعدم الرضا والشعور بالخسارة والهزيمة "هل هزيمة حزيران عقدة نفسية عندي؟ عند جيلي؟ عند العرب المعاصرين؟"[8]
أجيال فلسطينية تولد في المنفى لا تعرف من فلسطين سوى القضية ولكنها تعرف كلّ زقاق المنفى، ومقابلها تلد أجيال إسرائيلية لا تعرف لها وطنًا سوى فلسطين "الاحتلال الطويل الذي خلق أجيالًا إسرائيلية ولدت في إسرائيل ولا تعرف لها وطنًا سواها . خلق في الوقت نفسه أجيالًا من الفلسطينيين الغرباء عن فلسطين ولدت في المنفى لا تعرف من وطنها إلا قصته واخباره"[9]
رفض البرغوثي لاتفاقية أوسلو التي تنص على الاعتراف بالكيان الصهيوني وحق الكيان من الأراضي الفلسطينية والتنازل الصريح عن حق المقاومة المسلحة ومصيرها المأساوي " طريق أوسلو قد تقودنا إلى الاستقلال وقد تقودنا إلى الجحيم وعلينا أن نطور أداءنا في كل شيء إذا أردنا تجنب المصير الثاني"[10]
محاولة الآخر في قلب الواقع المرير لصالحه من تهجير سكان البيوت وشتات الأهالي في المخيمات والنزوح خارج البلاد ، والاستيلاء عليها والبناء فوقها ليتأكد زعمهم بملكيتهم وقدمهم بالمكان ، ومن الطبيعي أن ينعم الفلسطيني بحياة هنيئة وجاء الاحتلال وسلبه هذا الحق " وقول إسحاق رابين في البيت الأبيض أمام البشر فها هي منازلهم المبنية فوق منازلنا تعلن بشهامة نادرة استعدادها لتفهم هوايتنا الغريبة في سكنى المخيمات المبعثرة

---

[1] م. ن، ص 134.
[2] م. ن، ص 85- 86.
[3] مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ص 15.
[4] م. ن، ص 15.
[5] م. ن، ص 63.
[6] م. ن، ص 63.
[7] م. ن، ص 75.
[8] م. ن، ص 246.
[9] مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ص 93.
[10] م. ن، ص 165.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

في شتات الآلهة والذباب"[1] وفي قلبٍ آخر للواقع المرير الذي تدعيّه إسرائيل أمام العلن عبر وسائل الاعلام " إسرائيل الضحية تضفي على سكينها الساخن الملوّن وميض الصفح ! وحتى يكتمل الوجع قالت ذلك وصوّرته بيان مبهر وإن من البيان لسحرا" واندهاشه من هذا الواقع المرير ودور إسرائيل الخادعة في إظهار نفسها الضحية دومًا وتقلب الأدوار فهي المظلومة وفلسطين الظالمة "ها هم الإسرائيليون يحتلون دورنا كضحية ويقدموننا بصفتنا قتلة إسرائيل تبهر العالم بكرمها معنا"[2]

أثر الحرب على الوضع الاقتصادي مما تسبب لطرد العاملين الفلسطينيين من العالم وخاصة بعد حرب الخليج وطردهم من الكويت، مما ينبثق عدم رضاه عن الوضع السياسي " الغائبون في المغتربات الكثيرة يحولون النقود إلى القرية مع المسافرين أصحاب الهويات أو التصاريح أو تصاريح لم الشمل الذين يستطيعون الدخول والخروج أو عن طريق البنوك في رام الله أو عمان"[3]

الأحلام معلقة على هذا الجسر الذي يفصل بين نقطتين ولا يسمح للعبور لفلسطين إلّا من خلاله، فيمنع أبناء فلسطين المهجرين من الدخول وتبقى أحلامهم وآمالهم وذكراهم معلقة على هذا الجسر حتى يسمح لهم بالعبور واجتياز هذا الجسر " كيف استطاعت هذه القطعة الخشبية الداكنة أن تقصي أمة بأكملها عن أحلامها؟ أن تمنع أجيالًا بأكملها من تناول قهوتها في بيوتٍ كانت لها"[4]

تأثير مصطلح " النازح " على مريد البرغوثي ونفسيته، والإصرار على مناداته بهذا المصطلح "إسرائيل تسمح لمئات كبار السن وتمنع مئات الآلاف من الشبان بالعودة وصار العالم يسمينا بالنازحين"[5]

رابعًا، الاغتراب الثقافي: أسهمت الثقافة العامة في تكوين شخصية مريد البرغوثي الأدبية الثقافية، وتحمل الرواية في طياتها مواقف عديدة للاغتراب الثقافي سواءّ كان في بلاده أو المنفى، فنذكر منها:

شعور القهر المبطن بالسخرية التي تحمل في طياتها الإحساس بالقهر والذل والوجع والمأساة "عندما طالت الغربة واستحالت العودة إلى دير غسانة مارست الذل الأول البسيط والخطير عندما مددت يدي إلى جيبي واشتريت من البقال أول كيلو زيت زيتون"[6] فزيت الزيتون ثروة لكلّ فلسطيني لاسيما تصدير الزيت من رام الله ودير غسانة بالتحديد إلى العالم بأكمله وله قيمة عظيمة عند الفلسطيني فهو تراث، ويحفظه بالجرات، ويعدّ أثمن الهدايا التي تُقدم من الفلسطيني.

اقتصار التعليم على فئة معينة من المجتمع، فحرمت والدته من إتمام تعليمها، بسبب ثقافة المجتمع التي كانت سائدة القرية " اسمعي يا أم عطا بنتك ممنوع تروح على رام الله مفهوم؟ خذيها واخزينيها في الدار وممنوع تظل تلعب في الساحة مفهوم؟ لم يتدخلوا لمنع ابنة المختار من إكمال تعليمها"[7]

اختلاف عادات وتقاليد أهل القرية عن المدينة استعملت كأداة لحرمان الفتاة من مواصلة تعليمها في مدارس المدينة، فكانت الحجة التي يقوم عليها أهل القرية بأن بنات المدينة لهنّ طباعة مختلفة تمامًا عن بنات القرية مما تسبب لخوف الأهالي على بناتهنّ وارسالهنّ إلى مدارس المدينة، وبهذا الاعتقاد حُرمت معظم بنات القرية من إكمال الدراسة "هذه مدارس تبشير تفسد عقول البنات، المدرسات في البلد ولا يطلب من البنات حفظ القرآن الكريم فما بالك لو اخذوهن إلى رام الله"[8]

أعظم قيمة للإنسان في الحياة هو العلم وهو سلاح ذو حدين ، ولا يقتصر على عمر معين ، وهذا ما حدث تمامًا مع والدة البرغوثي حرمت في الصغر من اكمال تعليمها فثقفت نفسها بنفسها وتغذت على المطالعة ولم يقف العمر حاجزًا بينها وبين العلم " كانت فدوى طوقان في زيارتنا يومًا في عمّان وأهدتنا كتابها وكانت أمي أول من قرأ الكتاب بعد أن انتهت منه فوجئت بها تقول لي : أنا رحلتي أصعب فدوى ما شافت إليّ شفته يمّه"[9] ففدوى

---

[1] م. ن، ص 256.
[2] م. ن، ص 256.
[3] م. ن، ص 88.
[4] مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ص 24.
[5] م. ن، ص 15.
[6] م. ن، ص89.
[7] م. ن، ص 142.
[8] م. ن، ص142.
[9] مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ص 145.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

وجدت من يقف بجانبها ويدعمها لتواصل دربها وتتمرد على الحياة البالية التي تسودها قيم ومعتقدات تحط من قدر وقيمة المرأة ، بينما والدته خضعت لهذه الظروف البالية التي لم تساعدها في التمرد أو اكمال تعليمها .

المحافظة على الأصالة واللغة والاعتزاز والفخر بها، وعدم التأثر بمحيط الثقافة مهما اغترب من بلدٍ إلى آخر، فلازمت لغة الأم حتى في اختياره لمدارس ابنه تميم " وأهم من ذلك إننا نريد لتميم لتميم أن يتلقى تعليمه في بلدٍ عربي لا في المجر"[1]

تدمير الثقافة في مدينة رام الله، فهي مدينة حضارية لا بد لها من أن تزهو وتزدهر بدور الثقافة من مكتبات ومسارح ونادي أدبي "كم مدينة ذبلت؟ كم دارًا لم يصنها أحد؟ كم مكتبة كان يمكن أن تتأسس في رام الله؟ كم مسرحًا؟"[2]

خامسًا، الاغتراب الاجتماعي:

اكتفاءه بطفلٍ واحدًا بسبب اغترابه من مكانٍ إلى آخر وعدم مكوثه مع اسرته لوقت طويل لا يتجاوز بضع أسابيع أو أيام " عندما أحضرته رضوى معها للقاء بي في شقة بودابست كان عمره ثلاثة عشر شهرًا وصار يناديني: عمّو،

- أضحك وأحاول أن أصحح له الأمر أنا مش عمّو يا تميم أنا بابا

_ فيناديني عمّو بابا"[3]

الذاكرة تخون في بعض الأحيان لتذكر أشخاص أو أحداث، فعليه أن يتحمل مرارة وقسوة تلك اللحظات وكأن الغربة أسهمت في صنع حاجز تشكّل بين الذاكرة والأشخاص "كان علينا أن نتحمل وضوح الغربة وعلينا اليوم أن نتحمل غموض العودة أيضًا وقد تحملنا"[4]

تماسك أبناء القرية في الأفراح فنجد الجميع يقف صفًا واحدًا لإحياء الحفلة، فنجد الطويل بجانب القصير والغني يمسك بيد الفقير ويتمايل الكريم على الفقير والحنون والقاسي كلهم يجتمعون جانب بعضهم البعض ، مما يسهم في إحياء الحفلات ضمن العادات والتقاليد متزيّنة بجمال أهل القرية " كان علينا أن ننتظر طويلًا قبل أن تعلمنا الحياة، عبر رحلتنا الطويلة باتجاه الحكمة والحزن إنه حتى أسنان المشط لا تتشابه في الواقع"[5] وهذا على غير ما ما يحدث تمامًا في الغربة فنجد الأموال الهائلة تصرف لإتمام الأفراح الاستعراضي، وعلى الرغم من تلك المبالغ التي تدفع إلّا أن المغترب لا يشعر باغترابه عن عاداته وتقاليده في الفرح الذي يخلو من أصدقاءه المقربيّن وأقرباءه بل يتجدد ألم الغربة ومرارة المنفى والشعور بالوحدة المؤلم ولا يشعر به إلّا ما عاش هذه المرارة "الغرباء يلتقون بالغرباء. وتجربة الموجوعين العرب علمتني أنّ وجعي كفلسطيني هو جزء من كلّ وتعلمت أنّ لا أبالغ فيه."[6]

انشغال العامة بمصالحها الشخصية بعد مرور فترة من الزمن ففي كلّ مرة يعود البرغوثي بعد تنقله من بلدٍ إلى آخر فيعود ويبحث عن أصدقاءه فلا يجدهم " وكنت على صلة بجيل كامل من المثقفين عندما عدّت إلى القاهرة كانت الصحبة تفرقت.. بالموت، باختلاف المصائر ولم أعد التقي بشلّة أوائل السبعينات إلّا مصادفة وعلى غير ترتيب"[7]

وفي النهاية لا يسعنّني إلّا أن استحضر رأي الكاتب المبدع الراحل مريد البرغوثي " الغربة لا تكون واحدة إنها دائمًا غربات تجمع على صاحبها وتغلق عليه الدائرة"[8] وقوله" المتابة غربة، غربة عن الصفقة الاجتماعية المعتادة غربة عن المألوف والنمط والقالب الجاهز عن طرق الحب الشائع وعن طرق الحكومة الشائعة غربة عن الطبيعة الايمانية للحزب السياسي غربة عن فكره المبايعة"[9]

---

[1] م. ن، ص 186.
[2] م.ن، ص 211.
[3] م. ن، ص 188.
[4] م. ن، ص 110.
[5] مريد البرغوثي، رأيت رام الله، ص 112.
[6] م. ن، ص 216.
[7] م. ن، ص 112.
[8] م. ن، ص 189.
[9] م. ن، ص 191.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

الخاتمة

جاءت هذه الدراسة بعنوان **الاغتراب في الأدب الحديث – رواية رأيت رام الله لمريد البرغوثي أنموذجًا.** وبعد دراسة هذه الظاهرة توصلت إلى أهم النتائج، وهي:

يُعدّ الاغتراب الابتعاد عن الوطن وفقدان القيم والخضوع لواقع آخر جديد بحيث يمزج المشاعر المختلطة من الحب والخوف والشوق والحنين.

ولم تقتصر على الأدب الحديث فحسب، بل هي ظاهرة قديمة، عانى منها الانسان منذ القدم، بغربته عن وطنه الأم إلى مكانٍ آخر بفعل ضغوطات الحياة ومتطلباتها وعواملها السياسية بفعل الحروب والتهجير، والاجتماعية رفض للمجتمع له واغتراب المرأة عن ديارها بسبب الزواج، والاقتصادية بحثًا عن لقمة العيش، والثقافية طلبًا للعلم. وتصبّ جميعها في الوجدان أي النفس.

قدم لنا المبدع الراحل مريد البرغوثي رواية بعنوان رأيت رام الله، إذ تُعدّ من أدب السيرة، ففيها عرضًا لشريط حياته وسيرته، ومن خلال دراستي للرواية يستطع الباحث الرجوع إليها واعتبارها مصدرًا في عرض سيرته.

جذب البرغوثي القارئ لروايته بأسلوبه الشيّق المختلف، بحيث تناول الرواية بالعاطفة، ومزج بين المشاعر المختلطة، وحرّك مشاعر القارئ وعاطفته بأحداثها المختلفة، مما أضفى لها روحًا وجمالًا براقًا، ليعيد قراءتها مرارًا وتكرارًا دون ملل.

عُنيّ البرغوثي بالرواية اعتناءً خاصًا، فقدم لنا مشهدًا حضاريًّا لمدن فلسطين التي تناولتها الرواية (القدس ورام الله، وقرية دير غسانة)، وقدم لنا لوحة فنّيّة في وصف طبيعة فلسطين بجمالها بماضيها وحاضرها – أي أثناء زيارته – فيدمج القارئ معها ويسرح بخياله الواسع بعمرانها وحضارتها العريقة وأحداثها المتتالية.

عانى البرغوثي من الاغتراب في شتى أنواعه، وظهرت في الرواية ظهورًا واضحً لا يخفى وصبت جميعها في النفس بحيث يصعب على القارئ الفصل بينهم، فالسياسي أثر في نفسيته والمكان الذي يرتبط برائحة ما وكلّما مرّ من المكان يتذكر تلك الرائحة بأحداثها وزمانها، وغربته الاجتماعية والثقافية كذلك الأمر تتعمق بالنفس.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

1 – البرغوثي، مريد، رأيت رام الله، تقديم ادوارد سعيد، دار الشروق الثالثة، ط 1، مصر،1997م.

2 – بركات، حليم – الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006م.

3 – الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ج 5، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م.

4 – الجبوري، يحيى، الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 1428 ه - 2008 م.

5- الحراسيس، آمال عبد المنعم، ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها – جامعة مؤتة – الأردن – 2016م.

6 – الحمداني، اقبال محمد رشيد صالح، الاغتراب التمرد قلق المستقبل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 1432 ه - 2011 م .

7 – الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، دار الحديث، القاهرة.

8 – الزمخشري، جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، أساس البلاغة، ت: مزيد نعيم و شوقي المعرّي، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، لبنان،1998م .

9 – سراج، نادرة جميل، شعراء الرابطة القلمية دراسات في شعر المهجر، دار المعارف، مصر، 1964م.

10 – سلامي، سميرة، الاغتراب في العصر العباسي القرن الرابع الهجري، دار الينابيع، ط1، دمشق، 200 م.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.119.2025.1391
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (119) April 2025
العدد (119) أبريل 2025

11 – شراب ، محمد محمد حسن، شعراء فلسطين في العصر الحديث صور الماضي الحاضر واستشراف المستقبل، الأهلية للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2006 م .
12 – شعبان ، عادل هنداوي – تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر - https://alsun.journals.ekb.eg
13- عبد اللطيف أسماء، تجليات الغربة، مجلة عود الند، العدد الفصلي 23، https://www.oudnad.net .
14 – العسكري ، كيلاس محمد عزيز، الاغتراب في شعر الشاعرين محمود درويش وسيركو بيكه: دراسة تحليلية فنية أطروحة جامعية لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية، العراق، 2005 .
15 – عودة، مؤيد عبد الرؤوف محمود، المدينة الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو في روايات مريد البرغوثي رأيت رام الله و هنا ولدت أنموذجًا ، https://jilrc.com .
16 – قحطان، محمود – رأيت رام الله ملحمة الغربة والاغتراب https://mahmoudqahtan.com .
17 – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 4، 2005 م.